

هوشي منه

1969 - 1890

"العم هو" هو الإسم الذي أطلقه الشعب الفيتنامي على زعيمه هوشي منه، القائد الأسطوري للثورة الفيتنامية التي حررت الفيتنام والهند الصينية من المستعمرين الفرنسيين واليابانيين والأميركيين بالكفاح البطولي على امتداد ثلاثة عقود ونيف مثقلة بالتضحيات الجسام. خرج الزعيم هو إلى موقعه الأسطوري من الفقر والحرمان اللذين كان يعاني منهما منذ مطالع شبابه. خرج ذلك الزعيم من الإحساس العميق بالقهر الذي كان يمارس ضد شعبه من قبل المستعمرين والحاجة إلى التحرر منه. جاء الوعي إليه منذ وقت مبكر مرفقاً بالعمل لتخليص شعبه من معاناته. ولم يتأخر في اكتشاف الطريق الذي سيقوده إلى مستقبله ومستقبل وطنه. وكان ذلك الطريق هو الشيوعية التي انتمى إليها بوعي، وظلت هي ذاتها مرجعيته الفكرية وأداته السياسية في الكفاح الطويل من أجل حرية شعبه وبلده. لكنه اختار منذ البداية ألا يكون منظرًا لأن كثرة من المنظرين الكبار كانوا قد اختاروا ذلك الطريق قبله فغرف من معين فكرهم. اختار في البداية العمل السياسي أدواته لتحرير وطنه. وحين رأى أنه لا سبيل للوصول إلى تحرير وطنه إلا بالكفاح المسلح لم يتأخر في حمل السلاح، مع إدراكه الواعي بأن ثمن الكفاح المسلح سيكون باهظاً. وكان ذلك الثمن باهظاً بكل المقاييس. ولم يكن وحيداً في اختيار الكفاح المسلح سبيلاً إلى خلاص شعبه. إذ سبقه إلى ذلك رفاقه الصينيون، الذين قدموا له في مراحل متعددة من كفاحه كل الدعم، قبل تحرير الصين، وبعد تحريرها واختيار الاشتراكية نظاماً سياسياً لها.

ولد هوشي منه في عام 1890 في عائلة فقيرة. اسمه الأصلي هو نغوين سينغ كونغ. لكن والده عاد فأعطاه إسمًا آخر بعد أن بلغ العاشرة من عمره هو نغوين تات تابه. كان والده فلاحاً. فعاش الإبن شبابه الأول في بيئة عائلته الفلاحية. بدأ دراسته في أجواء القهر التي كانت تعيش فيها العائلة. وفي الخامسة عشرة من عمره دخل إلى الكلية وتعلم فيها اللغتين الفيتنامية والفرنسية. وبعد أربعة أعوام من المصاعب والخيبات التي عايش فيها انتفاضة عام 1908 وهزيمتها قرر السفر إلى جنوب البلاد. وهناك دخل في مدرسة

تابعة لأحد المعامل. ثم مارس التدريس حتى عام 1911. انتقل بعد ذلك إلى سايغون لينتسب إلى مدرسة مهنية تختص بالملاحة الطويلة المدى. وفي وسط الآلام والأمال قرر في ذلك العام بالذات، بعد أن بلغ الواحدة والعشرين من عمره، العمل كمساعد طباح في باخرة كانت تتجه من مرفأ هايفونغ إلى ميناء مرسيليا في جنوب فرنسا. وكانت تلك الباخرة تنقل فرنسيين لقضاء عطلتهم هناك. استمر في العمل على متن تلك الباخرة مدة عامين متنقلاً من مرفأ إلى مرفأ على شواطئ البحر الأبيض المتوسط وشواطئ أفريقيا. وهي سفرات عرفته إلى شروط حياة تلك البلدان الشبيهة أوضاعها بالتي كان يعيش فيها الشعب الفيتنامي. وستكون تلك الرحلة المكوكية ومشاهداته فيها موضوع كتابه الأول "محاكمة الإستعمار الفرنسي". ويذكر العم هو أنه فوجئ بأحد الفرنسيين يناديه بـ"أيها السيد". فأدرك لمجرد سماعه تلك الكلمة أن الشعب الفرنسي شيء وحكامه شيء آخر. وفي أعقاب رحلة طويلة في الباخرة إياها قادته إلى بوسطن ونيويورك قرر ترك تلك المهنة. وكان ذلك في عام 1914 عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى. بقي في مدينة هافر حيث عمل في صيانة أحد الجنائن. وبعد وقت قصير غادر هافر إلى لندن لكي يعيش فيها خارج البلد الذي يستعمر وطنه. عمل في لندن في تنظيف الطرقات من الثلج، وفي تنظيف المطاعم. ثم انتقل للعمل في فندق كارلتون مساعد طباح. في لندن بالذات كانت بداية وعيه الثوري. إذ أقام علاقات مع بعض المنظمات السرية الإيرلندية. وتعرف على الحركة الإشتراكية الفابية. وبدأ يقرأ بعض الكتب التي عرفته على كلمة ثورة وعلى المعنى الذي ترمي إليه تلك الكلمة. وسرعان ما أدرك أن لندن ليست المدينة التي سيواجه فيها مستقبه ومستقبل بلده. فانتقل إلى باريس عاصمة الدولة التي تستعمر وطنه. وكان ذلك في عام 1917، العام الذي صادف استيلاء البلاشفة الروس على القصر الشتوي للقيصر في مدينة بيتروغراد، وإعلان لينين إنتصار ثورة أكتوبر وإقامة سلطة البروليتاريا في روسيا. في ذلك الوقت بالذات وفي باريس إياها عاصمة الدولة التي تستعمر بلاده وجد هوشي منه نفسه يقيم مع شعب محب للحرية ومناضل من أجلها. ووجد نفسه في الآن ذاته وسط تيارات

ثورية. ورأى بوعي مفاجئ أن ثمة علاقة أخوة عميقة كانت تنشأ بين أبناء وطنه من الفيتناميين الذين جندتهم السلطات الإستعمارية الفرنسية في الحرب، أو الذين أتوا إلى فرنسا للعمل كمهاجرين، وبين أبناء الشعب الفرنسي. الأمر الذي خفف عنده الهم الذي كان يؤرقه من وجوده في البلاد التي يستعمر سادتها بلده. وجد شبيهاً كبيراً بين حال أبناء شعبه الفيتناميين وحال الفرنسيين الفقراء. وقادته مشاعره تلك إلى التعرف على المنظمات العمالية وإقامة علاقات مع أحزاب اليسار الفرنسي. واكتشف أن مجيئه إلى فرنسا قد حرره مما كان سيقود إليه بقاءه في بلاده من مشاعر قومية شوفينية خالية من أية آفاق مستقبلية بالنسبة إليه، سياسياً وأيديولوجياً. إذ كان سيبقى غريباً في وطنه لو لم يأت إلى ذلك البلد المتمدن. لقد علمه الشعب الفرنسي أن يشعر بعمق أنه مواطن. علمته الأعوام التي عاشها في باريس في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى في معمران السياسة والنضالات كيف يتحوّل، هو الأسيوي الفقير المستعمرة بلاده، بالتدرج إلى سياسي وإلى ثوري في الآن ذاته. وهكذا بدأت تتطور صلاته بالحركة الثورية الفرنسية وبالنقابات العمالية. وتمكن من الوصول إلى جريدة "الأومانتيه" حيث كتب بعض ذكرياته وبعض مقالاته. ودعاه حفيد كارل ماركس للكتابة في جريدة "البوبيلير" التي كان يصدرها. ثم انضم إلى الشبيبة الإشتراكية. وكان أول فيتنامي ينتسب إلى تلك المنظمة. وتعرف خلال تجولاته ولقائه إلى مناضل ثوري من سويسرا كان من رفاق لينين وزينوفيف. وبواسطة ذلك الثوري تعرف إلى الكثير من الأمور، وإلى الكثير من الأحداث، وتعرف إلى كتابات إميل زولا ورومان رولان وفكتور هيغو وشارل ديكنز وآخرين. وصار يتردد على الصحف العمالية والصحف الإشتراكية ليكتب فيها. وفي تلك الأثناء تعرف إلى أحد الشخصيات المرموقة في جهاز الأممية الشيوعية. وظل يتابع بنشاط علاقاته مع القوى الإشتراكية من موقعه في منظمة الشبيبة الإشتراكية الفرنسية وخارج أطرها على امتداد الأعوام الثلاثة الممتدة من عام 1917 حتى عام 1920. وفي عام 1920 شارك في مؤتمر تور (Tours) للحزب الإشتراكي الفرنسي الذي خرج منه الشيوعيون الموالون للأممية الشيوعية وأسسوا الحزب الشيوعي الفرنسي.

وكان هوشي منه قد تعرف إلى مارسيل كاشان القائد الشيوعي الفرنسي الذي شارك في ذلك المؤتمر وخرج مع آخرين من رفاقه في ذلك المؤتمر ليؤسسوا الحزب الشيوعي. حضر هوشي منه ذلك المؤتمر وألقى فيه خطاباً رناناً أدان فيه الإستعمار الفرنسي. وأحدث خطابه دويماً كبيراً في المؤتمر وخارجه. وجرى نقاش حاد من قبل أحد المسؤولين في المؤتمر ضده، استقبله المناضل الشاب بعدم اكتراث وبصمت بليغ. وفي اليوم التالي نشرت جريدة الأمانيتيه وصحف أخرى صورته وهو يلقي كلمته تأكيداً للصدى الذي أحدثه خطابه في المؤتمر.

شكل مؤتمر تور انعطافاً حاسماً في حياة هوشي منه الشاب. فقد اختار، وسط الجدل الحاد الذي جرى في المؤتمر بين أنصار الأهمية الشيوعية والأهمية الثانية، أن يكون إلى جانب مارسيل كاشان وفروسار وآخرين، الذين رفعوا راية الأهمية الشيوعية، وذهبوا في اتجاه تشكيل الحزب الشيوعي والانتماء الثوري إلى الأهمية الشيوعية.

أصبح هوشي منه ابتداءً من ذلك التاريخ عضواً نشيطاً في الحزب الشيوعي الفرنسي. وصار، من موقعه في حزب أممي، يكتب ويناضل من أجل الحرية لبلده ولجميع الشعوب التي يحكمها المستعمرون الفرنسيون.

ألف هوشي منه في عام 1922 كراساً يحمل عنوان "محاكمة المستعمرين" دافع فيه عن جميع شعوب المستعمرات. وظهر على غلاف الكراس عنوانه بلغات ثلاث: العربية والصينية والفرنسية. لقد أراد في ذلك الكراس أن يظهر بمظهر الوطني والأممي في الآن ذاته.

في عام 1923 صدرت مجلة "باريا". واستمرت في الصدور حتى عام 1926. وكان يكتب فيها مناضلون ثوريون من بلدان مختلفة من بينهم سوريون مثل رشيد رضا وجزائريون مثل علي عبد القادر مؤسس الحزب الشيوعي الجزائري. وكان يكتب فيها هوشي

منه بتواقيع مختلفة. وفي عام 1922 بالذات، كما يقول أحد أصدقاء هوشي منه، أو في عام 1923 كما تقول وثائق الحزب الفيتنامي، غادر هوشي منه باريس إلى موسكو. خلال وجوده في موسكو توفي لينين متأثراً بجراحه من جراء محاولة الإغتيال التي تعرض لها. وكان ذلك في عام 1924. في ذلك العام بالذات عقد المؤتمر الرابع للكونغرس (1924) وشارك هوشي منه فيه. وتابع من موسكو إرسال مقالاته إلى مجلة باريا.

انتقل في عام 1925 إلى الصين مرسلًا من قبل الكونغرس في مهمة. وهناك وخلال وجوده في كانتون أسس مع بعض رفاقه جمعية الشبيبة الثورية الفيتنامية. وعاد إلى موسكو ليشترك في المؤتمر الخامس للكونغرس الذي عقد في ذلك العام. وكانت تتطور وتزداد وضوحاً أفكاره في الخطب التي كان يلقيها في مؤتمرات الكونغرس حول الثورة وحول ما ستقود إليه بلده الفيتنام وبلدان الهند الصينية. في عام 1926 كتب مقالاً حدد فيه بوضوح، باسم الماركسية اللينينية، الإتجاه الذي على الحركة الثورية في الفيتنام أن تعتمده. وحدد ثلاث نقاط أساسية تعبر عن ذلك الإتجاه: النقطة الأولى تؤكد بأن الحركة الثورية هي عمل تقوم به أوسع جماهير العمال والفلاحين وليست عمل بعض الأشخاص. الأمر الذي يستدعي تنظيم الجماهير في الشكل الذي يجعلها مؤهلة للقيام بالمهمة الموكلة إليها. النقطة الثانية تؤكد بأن الحركة الثورية يجب أن تقاد من قبل حزب ماركسي-لينيني. النقطة الثالثة تؤكد بأن الحركة الثورية في كل بلد يجب أن تكون على علاقة وثيقة بالبروليتاريا العالمية. وحاول انطلاقاً من أفكاره تلك أن يؤسس مع الثوري الهندي روي، العضو في اللجنة التنفيذية للكونغرس، رابطة الشعوب المضطهدة. لكنه عدل عن ذلك وساهم في تأسيس الإتحاد النقابي العمالي للباسيفيك في عام 1927. خلال وجوده في مدينة شانغهاي تعرض للإعتقال. لكنه في عام 1928 عاد إلى موسكو من الصين. ومن موسكو غادر إلى بروكسل ليشترك مع زوجة سن يات صن الزعيم الصيني الكبير ومع نهرو في المؤتمر المعادي للحرب الإمبريالية. ثم غادر بروكسل إلى باريس ومنها إلى

برلين وسويسرا وإيطاليا. وذهب في خريف ذلك العام (1928) إلى سيام لكي ينظم الفيتامين المقيمين هناك، وليؤسس فرعاً للأمية الشيوعية في جنوب شرق آسيا. انتقل بعدها إلى بانكوك متكرراً في زي راهب بوذي ليتابع نشاطه الثوري.

في عام 1929 تم تأسيس الحزب الشيوعي في الهند الصينية بعد صراع بين المؤسسين. وكان هوشي منه من أكثر المدافعين عن الإسراع في تأسيس الحزب. وتم الإتصال بالكومنترن لإعلان انتساب الحزب إليه.

بين عام 1934 وعام 1938 كان هوشي منه يقيم في موسكو. وفي عام 1935 شارك في المؤتمر السابع للكومنترن الذي أعطى الإتجاه للشيوعيين من أجل التحالف مع القوى الديمقراطية بدلاً من الإتجاه الذي كان قد ساد في المؤتمر السادس الذي أعلن شعار "طبقة ضد طبقة"، أي البروليتاريا ضد البرجوازية من دون هوادة. وتشكلت بتأثير من المؤتمر السابع للجبهة الشعبية في كل من فرنسا وأسبانيا الجمهورية.

وفي حين كانت البلاد في الفيتنام تشهد نضالاً متصاعداً من أجل الحريات الديمقراطية، لا سيما في عام 1936، العام الذي شهد ولادة الجبهة الشعبية في فرنسا من اتفاق الحزب الشيوعي والحزب الإشتراكي برئاسة ليون بلوم. كان هوشي منه يقيم في موسكو. وقد أصيب خلال إقامته في العاصمة السوفياتية بداء السل. ولم يشف منه إلا في صيف عام 1938. ذهب بعد شفائه من المرض إلى الصين. وانتقل في عام 1941 إلى هانوي ليؤسس حركة الفيتمنه. وكانت إقامته في الإتحاد السوفياتي في تلك الفترة قد هيأت له الشروط لإغناء معارفه بالماركسية التي صارت مرجعيته الفكرية في كل نضالاته.

وتجدر الإشارة في سياق الحديث عن هوشي منه في تلك المرحلة التي كان قد أصبح فيها زعيماً شيوعياً مرموقاً في الهند الصينية وفي دوائر الأممية الشيوعية، أنه غير خلال بضعة أعوام في طبيعة برنامج الحزب الشيوعي في الهند الصينية من اتجاه كان

مفرداً في يساريتها في مطالع ثلاثينات القرن إلى برنامج أكثر انفتاحاً على القوى الديمقراطية بما في ذلك البرجوازية الوطنية. إذ كان قد تأثر بالإتجاه الذي أقره المؤتمر السابع للكومنترن (1935). وتشير النقاط التالية في البرنامج الأخير الذي وضعه هوشي منه لمؤتمر الحزب الذي عقد في ماكاو في غيابه، إلى ذلك الإنفتاح الذي ظل يرافق سياسة هوشي منه في المراحل اللاحقة، حتى في ظل حرب التحرير. ومن أبرز تلك النقاط في ذلك البرنامج الدعوة إلى تشكيل جبهة ديمقراطية تضم إلى جانب العمال والفلاحين قوى ديمقراطية واسعة تشمل ممثلين للبرجوازية الوطنية. ولم يستثن البرنامج ضرورة إدخال ديمقراطيين فرنسيين من المقيمين في البلاد في تلك الجبهة الديمقراطية الفيتنامية. تضاف إلى ذلك الدعوة إلى المرونة في تحديد قيادة القوى التي تتشكل منها قيادة الجبهة، وعدم العمل لفرض الحزب الشيوعي في موقع القيادة للجبهة. ولم يتغير موقف هوشي منه ذلك حتى في المرحلة التي أعقبت انهيار الجبهة الشعبية في فرنسا في عام 1937. إذ ما أن اندلعت الحرب العالمية الثانية في 1939 حتى غزت اليابان الهند الصينية، وسقطت فرنسا تحت سيطرة الجيوش الألمانية وحكومة فيشي العميلة للألمان. إذ اعتبر هوشي منه أن المهمة الأولى في ذلك الوقت هي محاربة اليابانيين وتوحيد القوى كلها داخل الهند الصينية في ذلك العمل الوطني المشترك. وفي عام 1941 أنشأ هوشي منه حركة الفيتمنه (VITMINH) في خضم حرب التحرير. وفي عام 1945، بعد استسلام اليابان في أعقاب قنبلة هيروشيما وناكازاكي، تهيأت الشروط بالنسبة لهوشي منه لإعلان استقلال الفيتنام. وذهب إلى باريس في عام 1946 لتوقيع الإتفاق الذي يكرس استقلال الفيتنام. وإذ أخل الفرنسيون بالإتفاق بعد توقيعه بدأت الحرب من جديد بين الفيتناميين بقيادة هوشي منه وبين الفرنسيين. واستمرت تلك الحرب حتى عام 1954، عام الهزيمة للقوات الفرنسية في ديان بيان فو. وإذ أصبح هوشي منه رئيس الدولة بعد التحرير، فقد رفضت سلطات جنوب الفيتنام بدعم من الفرنسيين توحيد البلاد. وبذلك أصبحت الفيتنام الشمالية دولة مستقلة وعاصمتها هانوي، دولة إشتراكية عضواً في أسرة الدول الإشتراكية بقيادة الإتحاد السوفياتي.



وأصبحت المهمة الجديدة أمام هوشي منه ورفاقه تثبيت الوضع في الشمال، ومساعدة الجنوبيين لتحرير أرضهم من المستعمرين ومن أعوانهم. وصارت لجنوب الفيتنام حركة ديمقراطية تقود نضالهم، وحركة أنصار تتابع الكفاح المسلح. إلا أن الأميركيين تدخلوا في عام 1962 في شكل وحشي مفاجئ في الهجوم على فيتنام الشمالية. وبدأت حرب جديدة كانت الفيتنام بشمالها وجنوبها مسرحها الصعب. واستمرت الحرب حتى عام 1975، العام الذي انتصر فيه الشعب الفيتنامي وهزمت القوات الأميركية الغازية، وتوحدت البلاد تحت قيادة الحزب الشيوعي الفيتنامي. وتبع ذلك استقلال كل من لاوس وكمبوديا. لكن هوشي منه كان قد غادر الحياة في عام 1969، العام الذي كانت فيه حرب التحرير في أوجها بقيادة الجنرال جياب، الذي ذاع صيته في تلك الحقبة، وصار نجماً لامعاً، وصارت طريقته في الكفاح المسلح نموذجاً لحرب الشعب. وصار مدرسة في الكفاح من أجل التحرير بالنسبة للعديد من القوى التي كانت تقاتل من أجل حريتها، ومنها الثورة الفلسطينية في مرحلتها الجديدة التي بدأت في أعقاب هزيمة حزيران (1967).

ومعروف أنه في عام 1975 بدأت في باريس المفاوضات بين لودكتو القيادي في الحزب الشيوعي الفيتنامي وبين وزير الخارجية الأميركية هنري كيسنجر. وهي المفاوضات التي اشتهر فيها لودكتو والقيادة الفيتنامية بالبراعة في التفاوض في الوقت الذي كان فيه القتال مستمراً حتى تحقيق النصر.

انتصر الشعب الفيتنامي. وانتصرت قيادته الثورية الحكيمة على المستعمرين من كل الأنواع الذين تعاقبوا على استعباد ذلك الشعب البطل وسائر شعوب الهند الصينية. وظل هوشي منه بالنسبة للفيتناميين رمز ثورتهم، وبطل تحريرهم، ونموذجاً فذاً دخلت سيرته في وجدان كل فيتنامي. وظلوا يتذكرونه كرمز تاريخي لتحريرهم. وكثرت الكتابات حوله وحول سيرته. وأعيد نشر كتبه. وأعيد نشر خطبه وأحاديثه الصحفية، ومراسلاته مع الفرنسيين والأميركيين التي كان فيها حريصاً على عدم التنازل قيد شعرة عن الإستقلال

الكامل والناجز لبلاده. وأعيد نشر أشعاره التي ضمها ديوانه الوحيد. وهي جميعها وثائق تؤكد ما تميزت به سيرة هوشي منه في جميع جوانبها المتمثلة بالثبات في موقفه دفاعاً عن حرية شعبه، ومرونته التي تمثلت في توسيع قاعدة القوى المشاركة في الثورة، وأمانته لأفكاره الاشتراكية في فهمه لها الذي كان يتطور في صورة خلاقة. ولعل من أهم ما تميزت به صلابته ومرونته للطريقة المميزة التي تعامل فيها مع الإنقسام داخل الحركة الشيوعية. إذ ظل يحتفظ بالعلاقة القوية مع كل من الإتحاد السوفياتي الذي تعلم فيه كيف يكون شيوعياً أممياً وشيوعياً وطنياً وماركسياً لينينياً، ومع الصين الشعبية التي احترم خيارها من دون نقاش مع قادتها، محافظاً على العلاقة معها كجار أساسي للفيتنام كانت تقدم للثورة ولقيادتها كل الدعم في كافة المجالات. ووجه إلى رئيسي الدولتين الشقيقتين رسالة يعرض فيها للوضع الذي كان سائداً في ظل الحرب التي شنتها الولايات المتحدة الأميركية على بلاده، شاكراً لهما دعمهما للشعب الفيتنامي، طالباً منهما المزيد من الدعم، من دون أن يثير أية نقطة تتصل بالصراع بين الشقيقتين الجبارين.

أما رسالته إلى الرئيس الأميركي جونسون جواباً على رسالة هذا الأخير له، فكانت شديدة الوضوح في التأكيد على الثوابت، وفي مقدمتها سحب القوات الأميركية، وبدء مفاوضات سلام على قاعدة اتفاقية جنيف لعام 1954 التي أقرت لشعب الفيتنام بحقوقه كاملة في ظل السيادة والإستقلال على كامل أراضيه. ويقول في نداء وجهه إلى المقاتلين وهم يتصدون لذلك العدوان: "يجب على جونسون وعصابته أن يدركوا ما يلي: إن باستطاعتهم أن يأتوا بـ500000 جندي، بمليون جندي، وحتى بعدد أكبر لتوسيع الحرب العدوانية في فيتنام الجنوبية، وأن باستطاعتهم أن يستخدموا آلاف الطائرات الحربية من أجل شن غارات جوية كثيفة ضد فيتنام الشمالية. لكنهم لن يستطيعوا أبداً أن يلغوا الإدارة الحديدية للشعب الفيتنامي البطل في قتاله من أجل الخلاص الوطني. وكلما صاروا أوحش كلما أصبحت جرائمهم أخطر. وقد تطول الحرب خمس سنوات أو عشرين سنة أو عدداً

أكثر من السنين، وقد تدمر هانوي وهايفونغ ومدن ومشاريع أخرى، لكن الشعب الفيتنامي لن يروّع. ولا يوجد هنالك ما هو أثنى من الإستقلال والحرية. وبمجرد أن يحرز النصر، فسوف يعيد شعبنا بناء بلادنا جاعلاً بناءها أكبر وأجمل".

كان هوشي منه يؤكد على الدوام على وحدة الشعب الفيتنامي في الشمال والجنوب وفي كل مناطق البلاد. ويقول في هذا الصدد: "إن الشمال والجنوب والوسط هي أجزاء مكونة وموحدة للوطن الفيتنامي غير قابلة للتجزئة. إن لنا الأجداد ذاتهم. فنحن عائلة واحدة. وجميعنا أخوة وأخوات. إن بلادنا مكونة من ثلاثة أجزاء موحدة فيما بينها هي الشمال والجنوب والوسط. وهي في ذلك تشبه وحدة ثلاثة أخوة من أبناء عائلة واحدة".

وتشير الوثائق الآتية الذكر التي تتحدث عن سيرة هوشي منه إلى الحرص عنده على نظافة الثورة من الشوائب. فهو يقول في خطاب له بمناسبة رأس السنة في عام 1952: "لكي نحقق مهماتنا علينا إزالة بعض العقبات من الطريق. أولاً، محاربة البيروقراطية وإصدار الأوامر المكتبية والشكليات واللاعلمية والإنفصال عن الجماهير والانحراف عن خط الجماهير وعدم الإشراف على تنفيذ خطط الحكومة والحزب. ثانياً، محاربة الفساد ومحاربة وضع اليد على أملاك الدولة وعدم الإستقامة والإختلاس وتبديد أملاك الدولة وتبذير المال والأرز اللذين أنتجهما المواطنون بعرق الجبين ودفع جنودنا من أجلهما تضحيات لا تثنى. ثالثاً، محاربة الإسراف. فعلى الرغم من أن الإسراف ليس اختلاصاً لأملاك الدولة، لكنه يتضمن خسائر للشعب والدولة وبالتالي فهو جريمة كالفساد. إن الفساد والإسراف ينبعان كلاهما من البيروقراطية. لذلك يجب، من الآن فصاعداً، على شعبنا بما في ذلك الجنود والموظفون المدنيون أن يعتبروا البيروقراطية والإسراف والفساد جرائم بحق الوطن. وعليه يجب معاقبة الذين يرتكبون هذه الجرائم. لكن الذين يرون تلك الجرائم ولا يكشفون عنها فيجب أن يعتبروا هم أيضاً مذنبين خطاة. هذا يفسر لنا لماذا يجب أن نشن حملة رصينة من النقد والنقد الذاتي في الجيش وفي مختلف الدوائر الحكومية

وفي المنظمات الجماهيرية وبين الناس. ويجب أن يأخذ النقد مجراه من الهيئات العليا نزولاً إلى الهيئات الدنيا، ومن الهيئات الدنيا صعوداً إلى الهيئات العليا تحت إشراف الشعب ومشاركته الإيجابية حتى نتقف أنفسنا ونهذبها فنتخلص من هذه الشرور الثلاثة، ونمهد الطريق لمزيد من التقدم. سوف يصدر الحزب والحكومة تعليمات واضحة حول هذا الموضوع، وإني لخصت هنا بعض النقاط الرئيسية فقط. وعندما تتسلمون هذه التعليمات، أمل أن تدرسوها جيداً وبغاية، وتضعوا خطاً صحيحاً لتطبيقها. ومن ثم تقطعون لي عهداً بأنكم مصممون على تنفيذها مهما كان الثمن. وإننا بهذا الأسلوب وحده نستطيع، بالتأكيد، أن نحرز انتصارات أعظم وأمجد في هذا العالم الجديد".

وفي عيد ميلاده السبعين كتب هوشي منه يصف بدايته الثورية: "بعد الحرب العالمية الأولى كنت أشتغل في باريس مزخرفاً للأدوات الصينية. أكتفي بنقد أعمال المستعمرين، وأدافع عن ثورة أكتوبر بدافع من العاطفة الإرتجالية. لم أكن عرفت بعد أهميتها التاريخية. كنت أحب وأحترم لينين، فقط لأنه كان في نظري وطنياً عظيماً ساعد مواطنيه على التحرر. لم أكن قرأت أياً من كتبه. كنت متصلاً بالحزب الإشتراكي الفرنسي، فقط لأن هؤلاء "السادة-السيدات" كانوا يشاركونني رغبتني في الكفاح مع الشعوب المضطهدة. لم أكن أدرك معنى حزب أو نقابة. ولم أكن أعرف أن أميز بين الإشتراكية والشيوعية. وأثناء النقاش بين رجال الحزب كنت أظن أن كل واحد منهم على حق، حتى تلتطف أحد الرفاق فأعطاني مجموعة محاضرات لينين حول موضوع البلاد المستعمرة. شعرت بفرح عظيم فصرت أبكي وحيداً في غرفتي. ورحت أصرخ كأنني أمام جمع غفير: "مواطني الأعزاء المضطهدين والمظلومين، هذا ما يلزمنا. هذه طريق تحررنا".

ويتوجه بحديث طريف إلى المسنين يقول فيه: "إن أبناءنا صغار . ولسوف يقومون بالعمل الشاق . أما نحن فمسنون كبار لا نحتمل القيام بالعمل الشاق . لكننا ونحن نتعكز على عصينا علينا أن نقوم بتشجيعهم ونقل تجاربنا لهم . صحيح أننا مسنون . لكن علينا أن نتحد أولاً لنضرب لأبنائنا المثل . لذلك فإنني آمل من الشيوخ المسنين في نانوي أن يتطوعوا لتأسيس "منظمة المسنين للخلاص الوطني" لتضم كل الناس المسنين في الوطن بأسره من أجل متابعة القضية والمساهمة في الدفاع عن الإستقلال الوطني".

أما هوشي منه الشاعر فتشير إليه الأبيات المأخوذة من ديوانه الوحيد . ويبدو أنه كتب قصائده في السجن الذي كثيراً ما كان يرسل إليه في أكثر من بلد من البلدان التي زارها أو عاش فيها . يقول في قصيدة بعنوان "دفتر السجن":

"إنما هو جسمك المسجون وليس فكرك . . الوردة تتفتح، والوردة تذوي دون أن تدري ماذا فعلت . يكفي أن يدخل عطر الوردة التائه زلزانه، حتى يعلو صياح المظالم العالم في قلب السجين . . صباحاً تتعمشق الشمس على جدران تدق الباب لكن الباب يظل موصداً . الليل يطول كثيراً في أعماق السجن . يجب أن يتنافس الناس على دخول السجن لأن المساجين لهم مكان يأوون إليه . أما من هم خارج السجن فلا يعرفون أين يبيتون . الدولة تقدم أرزاً حقاً، وأنا أسكن قصرها، والحراس يتزاحمون على حراستي . الحق الحق إنه لشرف عظيم".

ويقول في قصيدة أخرى: "اليوم عيد منتصف الخريف . لقد أهداكم آباؤكم وأمهاتكم مصابيح وأزهاراً وطبولاً وألعاباً نارية وأشياء أخرى . وها أنتم سعيديون . ولأنكم سعيديون فإن عمكم هو سعيد لأجلكم . هل تعلمون لماذا؟ أولاً لأنني أحبكم كثيراً . ثانياً لأن بلدنا كان العام الماضي يعيش محكوماً . وكنتم يا صغاري الأعزاء عبيداً صغاراً . أما اليوم وفيتنام صارت حرة مستقلة فأصبحتم أسياداً صغاراً لبلد حر مستقل . إلبوا اليوم قدر ما تشاؤون،

لكن، غداً أمل أن تعودوا إلى الدروس. هل تعرفون الألفباء الفيتنامية! من لا يعرفها منكم فليتعلمها. ليس لديّ ما أقدمه لكم هذه السنة غير قبلاتي".

لقد أتيح لي أن أزور الفيتنام في مطلع عام 1978 في إطار وفد الحزب الشيوعي اللبناني الذي ضم كلاً من فاروق دحروج وملحم أبو رزق وطوني فرنسيس. وكانت لنا لقاءات مع قيادة الحزب في هانوي وقيادة الحزب في سايغون. وكان من أهم من التقيناهم في سايغون بطل المفاوضات وبطل القتال في الآن ذاته لودكتو، الذي حدثنا بكثير من الإعتزاز عن إنجازاته الغنية في القتال وفي التفاوض. وزرنا منزل هوشي منه في هانوي الذي حوّلته الحزب إلى متحف.

لكن من أغرب ما واجهني حين حاولت الإتصال بالسفارة الفيتنامية في باريس في عام 1976 لإجراء لقاء مع السفير، البرودة في الجواب على طلبي. وحين ذهبت لزيارة السفير استقبلني السكرتير الثالث بجفاء. وعندما أعربت عن رغبة حزبا الشيوعي بإرسال وفد إلى الفيتنام أجابني بأن حزبا غير مرحب به في الفيتنام قائلاً بفظاظة بأن الحكومة في الفيتنام وحزب العمال الفيتنامي يقفون إلى جانب الحكومة السورية التي قدمت الدعم لشعبهم في حرب التحرير، وأن حزبا الشيوعي اللبناني يقاتل القوات السورية التي دخلت إلى لبنان. خرجت من اللقاء خائباً وغازباً. فشكوت أمري إلى الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي جورج مارشيه. وإذ كنت أمثل حزبا في مؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي في ذلك الحين، فقد جمعني مارشيه برئيس الوفد الفيتنامي، وكان جنرالاً وعضواً في المكتب السياسي للحزب. استقبلني المسؤول الفيتنامي بحرارة واستجاب لطلبنا بزيارة الفيتنام. وجاءتنا رسالة تحدد موعد الزيارة في مطلع عام 1978. وهكذا تمت الزيارة. وفي تلك الزيارة تعرفنا إلى الكثير من معاناة الشعب الفيتنامي في الشمال وفي الجنوب. وسمعنا أحاديث كثيرة من المسؤولين عن النضالات الصعبة التي خاضها الشعب الفيتنامي بقيادة حزبه والتضحيات الجسام التي قدموها في تلك النضالات. وجمعنا المسؤولين الفيتناميون بأحد قادة الحزب

في لاوس، الذي حدثنا بدوره عن نضالات شعبه خلال حرب التحرير. لكن ما فجعنا به هو ما سمعناه من المسؤولين الفيتناميين ومن سفير العراق في كمبوديا، الذي التقينا به في هانوي، الكثير عن المأساة التي كانت تمر بها كمبوديا في ظل حكم الخمير الحمر. وهي معلومات تشير إلى الدمار الذي ألحقه الخمير الحمر بدولة كمبوديا وبالشعب الكمبودي باسم الشيوعية يا للكارثة!

هذا هو العم هو الذي مهما طال الزمن تظل صورته وتظل سيرته بارزتان لا تغادران وجدان كل الذين آمنوا بالحرية وبحق الشعوب في تقرير مصائرهما. كان حريصاً أن يصل إلى حرية بلده من دون دماء. لكن الدماء العريضة التي سالت على أرض الفيتنام لم تكن مسؤوليته. بل هي كانت مسؤولية المستعمرين الذين كانوا يستعبدون شعوب البلدان الأخرى من أجل مصالحهم على حساب مصالح تلك الشعوب. لقد حقق الفيتناميون حريتهم بأثمان باهظة. لكن الغزاة خرجوا مضرجين بالدماء وبالهزيمة وبالخسائر المادية والبشرية.